الخط العربي وانتشاره في الشرق والغرب

Muh. Naim Madjid
Universitas Muhammadiyah Yogyakarta
Email: naimmadjid@umy.ac.id

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بداية نشأة الخط العربي وانتشاره في الشرق والغرب حيث سجّله التاريخ في اختلاف الآراء عن أصالته القديمة. وهذا الاختلاف قائم على انتقال الخط العربي بادئ ذي بدء من الحيرة مثلاً أو اشتقاقه من الخط النبطي أو أصله من الآرامي، وهلمّ جرًا. فيجري الحديث حول ظهور الأبجدية التي استعملها العرب قبل الإسلام، سواء كان بالرموز أم بالتشفير، إلى فن جمالها في الكتابة كما قد تأثرت بالإسلام. فالإسلام إثر مجيئه قد فتح انتشار الخط العربي على مصراعيه حتى يعمّ جزيرة العرب كلها ويبلغ بلدان الأمم الإسلامية وغيرها في آسيا وأفريقيا وأوروبا. فهذا أمر جذّاب يقدّمه الباحث كشفًا عن الخطوط العربية وأنواعها ومسيرتها الطويلة عبر العصور. واستخدم هذا البحث منهج التحليل الوصفي في مجال البحث الاستقرائي للوصول إلى النتائج الموثوقة بها. ومن أهم النتائج أن الخط العربي فن من فنون الإسلام له أصول وجذور عريقة. إنه قد بلغ الذروة بشمول الإسلام وفضيلته الكبرى في جمال التعبير والكتابة.

الكلمات المفتاحية: الخط؛ الانتشار؛ الشرق والغرب؛ الفن؛ الجمال.

Abstrak

Kajian ini membicarakan tentang permulaan kemunculan khat Arab dan penyebarannya di Timur dan di Barat di mana terjadi perbedaan pendapat Ulama dalam rekaman sejarah mengenai keasliannya yang kuno. Perbedaan itu berkisar pada beberapa pandangan bahwa khat Arab itu pada mulanya berasal dari *Ḥīra,* sebagian lain menganggap khat Arab berakar dari khat *Nabatī,* bahkan ada yang mengklaim bahwa ia berasal dari bahasa *Aram* (Aramaik). Diskursus yang panjang ini dimulai dari kemunculan alfabet yang digunakan oleh bangsa Arab pra-Islam, dalam bentuk perlambangan ataupun penyandian, hingga kepada seni keindahan tulisan yang variatif yang banyak dipengaruhi oleh Islam. Kemunculan Islam telah membuka jalur penyebaran khat Arab seluas-luasnya di semenanjung Arab hingga ke negara-negara Islam, dan negara lainnya di Asia, Afrika, dan Eropa. Untuk itu, menjadi sangat menarik bagi pengkaji mengungkap khat Arab dan jenis-jenisnya, dan menelusuri perjalanannya yang panjang dalam lintasan waktu. Dalam penelitian kualitatif ini metode analisis deskriptif digunakan untuk memperoleh hasil penelitian yang dapat dipercaya. Studi ini memandang penting khat Arab sebagai sebuah seni Islam yang memiliki akar yang mendalam yang telah mencapai puncaknya dengan ke-*syumul*-an Islam pada aspek estetika ungkapan dan tulisan.
Kata kunci: Khat; Penyebaran; Timur dan Barat; Seni; Keindahan.

Abstract

This research deals with the beginning of Arabic script and its spreading in the East and the West in historical record of authenticity based on the difference of scholar's views. For example, some ancient scholars claimed that *Ḥīrah* as the place where the Arabic script first evolved, some of them mentioned that it was derived from *Nabataean* line, and others stated that Aramaic is the origin. The Discussion is started from the usage of the early alphabet in the Arabian Peninsula before Islam – by formulation or encryption – until to the art of beautiful writing which more influenced by Islam. Obviously, Islam has opened widely the spreading of Arabic script in the Arabian Peninsula and also in the Islamic countries such as Asia, Africa and Europe. Therefore, the Arabic script, types and the long journey through the ages, become interesting to be disclosed by using the descriptive analysis method to get the reliable results in the platform of qualitative research. The most important result is the Arabic script is an Islamic art which has an ancient history and deep roots, while the Islamic virtue is the only reason of its spreading widely in the East and the West and it has reached the peak in both expression and writing.

Keywords**:** *Script; Spread; the East and the West; Art; the Beauty.*

أ. المقدمة

الخط العربي هو فن إبداعي الذي أدت الحضارة العربية والحضارات الإسلامية الأخرى إلى الذروة العظيمة، وهو مختلف عن الخطوط الأخرى ويمتاز عنها، في تجاوزه لمهمته الأولى وهي نقل المعنى، إلى مهمة جمالية أصبحت غاية بذاتها، وهكذا أصبح الخط العربي فنًّا مستقلاً، وهو مدين بذلك لارتباطه بمضمون رائع آمن العرب والمسلمون بإعجازه البلاغي والبياني وهو القرآن الكريم، الكتاب الذي أوحي إلى الرسول ﷺ.

هناك الروايات المشهورة التي تناولت بداية الخط العربي والاختلافات الواضحة فيها للتعريف بعدد أحرف اللغة العربية ومعرفة أصل الفصل والوصول بينهما. فمن المؤرخين من يرجع أصل الحرف العربي إلى آدم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ...﴾[1] بمعنى أن الله تعالى خلق لآدم عليه السلام علمًا ضروريًا بمعرفة الألفاظ والمعاني وإن هذه الألفاظ موضوعة لتلك المعاني[2]، ورأى ما يشير إلى أصل الهجاء في حروف اللغة العربية، وأخذه عن الخط السرياني وهذا ما يؤكده البلاذيري الذي يروي عن ابن عباس، ورأى آخر أن أول من وضع الخط رجل من طي كان له ثمانية أبناء سمى كل واحد

[1] سورة البقرة، الآية: 31.

[2] وذُكر في الخبر: "لما خلق الله آدم بث فيه أسرار الأحرف ولم يبث في أحد من الملائكة، فخرجت الأحرف على لسلن آدم بفنون اللغات، فجعلها الله صورًا له ومثلت له بأنواع الأشكال"، وفي الخبر أيضًا: "علمه الله سبعمائة ألف لغة فلما وقع في أكل الشجرة سلب اللغات إلا العربية، فلما اصطفاه للنبوة ردّ الله إليه جميع اللغات"، فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها أولاده إلى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية والعبرانية والزنجية وغيرها. انظر: مُحَمَّد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطّاط، **تاريخ الخط العربي وآدابه**، (جده: المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكين، 1358هـ/ 1939م)، ص16.

منهم بكلمة من (أبي، جاد، ... إلخ)، ورأى الآخر أن أول من اخترع وألف بين حروف الخط العربي ستة أشخاص من طسم في جزيرة العرب كانوا نزولا عند عدنان بن أدد وكانت أسماؤهم (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت). ومن المهم أن نقول أنّ الأول – الرأي الذي قاله كثير من اللغويين والرواة العرب – قائم على الاحتجاج العقلي المبني على اجتهادات في تفسير القرآن الكريم ويسمى بنظرية التوقيفية[3]. وقد لاقت هذه النظرية اعتراضًا من بعض علماء العربية وعلى رأسهم بن جني (ت 392هـ) تلميذ أبي علي الفارسي (ت 377هـ) الذي قال: "هذا موضع مُحوِج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي ولا توقيف[4].

في هذا البحث، يحاول الباحث أن يقدم معلومات كثيرة التي تمكن أن تعطي لنا الواضحات عن اختلافات الآراء في الخط العربي. فهذا البحث قائم على مناقشات: الأولى، تبدأ بالمقدمة؛ والثانية، نشأة الكتابة العربية؛ الثالثة، الخط العربي: تعريفه وأصله؛ والرابعة، الخط العربي وانتشاره في الشرق والغرب؛ والخامسة، أنواع الخطوط العربية.

وبدأ الباحث أن يتحدث أولاً عن نشأة الكتابة العربية بصفة عامة، سواء كان استعمالها قبل الإسلام، أم بعد دخوله وهو في عهد الرسول والصحابة.

ب. نشأة الكتابة العربية

ابتدأت الكتابة في المنطقة العربية بأحد شكلين، إما هيروغليفية تصويرية كما هو في الكتابة المصرية والحثية القديمة مما له شواهد معروفة ومقروءة، وإما كتابة رمزية مؤلفة من خطوط منقوشة على الطين بسمار، ولا تتألف هذه الرموز من أحرف وتسمى المسمارية، وكانت هذه كتابة الأكاديين ثم العموريين والأشوريين والإيبلائيين والكنعانيين. بيد أنه في أوغاريت (سوريا) ظهرت أول أبجدية مسمارية مؤلفة من تسعة وعشرين حرفًا، واشتُقت منها أبجدية جبيل ثم أبجديات الغرب بدءًا بالأبجدية الإغريقية القديمة، كما اشتقت منها الأبجدية العربية بدءًا بالأبجدية الفنيقية والآرامية والنبطية[5].

على أن الخط الذي استعمله العرب قبل الإسلام في الجزيرة كان الخط المُسند، وهو اللحيانيّ والثموديّ والصفويّ ثم الحميريّ، قد انتشر في أطراف العراق والبادية والكويت والإحساء، وهذه الأبجدية هي المصدر الثاني للأبجدية العربية. ولقد تطوّرت الأبجدية الأوغاريتية وتعدلت لكي تلتقي مع الأبجدية المسندية التي جُزِمت، أي حُوّرت وسُوّيت، في أبجدية الأنباط المتأخرة، وهي مصدر الكتابة العربية. إذا

---

[3] انظر: صالح بن إبراهيم الحسن، **الكتابة العربين: من النقوش إلى الكتاب المخطوط**، (الرياض: دار الفيصل الثقافية، 1424هـ/2003م)، ص18.

[4] انظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تعليق: مُحَمَّد أحمد جاوى المولى بك، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وعلي مُحَمَّد البجّاوي، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، الجزء الأول، 1986م)، ص10.

[5] انظر: عفيف البهنسي، **معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين**، (بيروت: مكتبة لبنان، 1995م)، في مدخل: ح.

تأملنا الحروف الكوفية الأولى فوجدنا أن ثَمَّة التقاء بينها وبين المسندية في أربعة عشر حرفًا، ومع ذلك نعود لكي نؤكد علاقة الأبجدية الكنعانية في أوغاريت وفي جبيل[6].

ظهرت الأبجدية في الكتابة لأول مرة في حفريات أوغاريت (سوريا) وهي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلادي. ثم ظهرت أبجدية أخرى في جبيل (لبنان) تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلادي. ومن مقارنة هذه الأبجدية مع الأبجديات اللاحقة كالسينائية تبين أنها أصل الأبجدية العربية، كما هي أصل الأبجدية الإغريقية القديمة ثم اللاتينية. وتسميات الحروف في جبيل هي ذاتها تسميات الحروف العربية، ألف، بتاء، جمل، وكل حرف هو الأول من تسمية الصورة: ب صورة رمزية لبيت، و ج لجمل، وكاف للكفّ ... ولقد انتقلت هذه الأبجدية إلى الآرامية أي السِريانية، ومنها إلى النبطية ثم العربية، ويؤكد ذلك كتابات عثر عليها الأثريون، وهي كتابة أم الجمال (سوريا) ق 3م. ثم كتابة النمارة (سوريا) 328م وهي شاهدة قبر امرئ القيس بن عمرو مالك العرب. وهي كتابة نبطية أيضًا ولكن يمكن للعربي قراءتها[7].

وقد رأى مسلم: (كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك). والمراد بالنبي هو سيدنا إدريس عليه السلام وبالخط هو خط الرمل، والمعنى: أن سيدنا إدريس هو أول من عمل على نشر الكتابة في الذرية؛ لأنه تعلم من سيدنا آدم عليه السلام حيث عاش 308 سنة[8]. ثم بعد ذلك سيدنا نوح كان يعرف الكتابة – ثم بعد ذلك سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وعن ابن عباس ﷺ: (أن أول من كتب بالعربية ووضعها إسماعيل بن إبراهيم)؛ لأنه يقال إن الله أنطقه بالعربية المبينة وعمره 24 سنة – ثم سيدنا سليمان بن داود كتب الكتاب لبلقيس ملكة سبأ حمله الهدهد. فالكتابة في هذه الأطوار لم تكن تستخدم إلا الأشكال والرموز فقط ثم ارتقى التعبير، فبدأت تستخدم المقاطع ثم الحروف. وليس في الإمكان حصر أنواع الخطوط المستعملة الآن بأشكالها المختلفة المتعددة؛ لأنها كثيرة جدًّا ولكنها ترجع إلى أصول أربعة[9]:

1- الخط المصري: وهو الهيروغليفي الخاص بالكهنة والهيراتيقي الخاص بالموظفين والديموطيقي الخاص بالشعب.
2- الخط الحيثي: وهو خط الشعب الحيثى الذي انتقل من بلاد القوقاز وهاجر إلى آسيا الصغرى.
3- الخط المسماري: ويسمى الإسفينى وكان مستعملاً في آشور وبابل في العراق.
4- الخط الصيني: وكان مستعملاً ولا يزال يستعمل حتى الآن في الصين واليابان.

---

[6] انظر: المرجع السابق، (في مدخل عن نشأة الكتابة العربية، ص: ح).

[7] انظر: المرجع السابق، ص: ح-ي.

[8] أي قيل: أن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه وذلك قبل موته بثلثمائة سنة فلما أظل الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابتهم، وقيل أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحي، والمقالتان الأولتان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون اصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام 1 هـ. انظر: مُحَمَّد طاهر الكردي الخطّاط، المرجع نفسه، ص15-16.

[9] انظر: فوزي سالم عفيفي، **نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية**، (الكويت: الناشر وكالة المطبوعات، د.ط، 1980م)، ص60.

وفي عهد الرسول كانت رسائله إلى الملوك سكتبها زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان إلى جانب كُتاب الوحي الآخرين وكان من أبرزهم علي بن أبي طالب الذي اهتم بجمال الخط. وكان المصحف العثمانيّ خاليًا من التنقيط والحركات، وبعد أربعين سنة وقد دخلت الإسلام أمم غير عربية، وقعت أثناء قراءتها باللحن والتصحيف، ظهر النقط الإعرابي أو المشكّل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي ومن ثمّ تبعها تنقيط الأحرف، وقد وضعها تلاميذ الدؤلي[10]. أي كانت الحركات إذ ذاك نقطًا يميزون بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلًا على الفتح وإلى جانبه دليلًا على الضم وتحته دليلًا على الكسر. ولم تشتهر طريقة أبي الأسود الدؤلي هذه إلا في المصاحف حرصًا على إعراب القرآن[11].

وفي أواخر القرن الثاني الهجري، ظهر نظام الحركات (الفتحة والكسرة والضمة والسكون والجزم والشَّدّة والمدّة وعلامة الوصل والهمزة) اشترك في وضعها الخليل بن أحمد (ت 175هـ-791هـ) وآخرون فيما بعد.

ج. الخط العربي: تعريفه وأصله

جاء في لسان العرب: (الخطّ: الطريقة المستطيلة في الشيء، والجمع خطوط، والخطّ أيضًا: الطريق، يقال: الْزَم ذلك الخطَّ ولا تظلم عنه شيئًا، وخطَّ القلمُ أي كَتَبَ، وخطَّ الشيءَ يخُطُّه خطًّا: كتبه بقلم أو غيره. والتخطيط: التسطير. والخطّ أيضًا: الكتابة ونحوها مما يُخَطّ. وروى أبو العباس عن ابن الأعرابيّ أنه قال في الطّرق: قال ابن عبّاس هو الخط الذي يخطّه الحازي، وهو علم قديم تركه الناسُ، قال: يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حُلْوانًا فيقول له: اقعُدْ حتى أخطّ لك، وبين يدي الحازي غلام له معه مِيل، ثم يأتي إلى أرضٍ رُخوةٍ فيخطّ الأستاذ خطوطًا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العددُ، ثم يرجع فيمحو منها على مَهَلٍ خطّين خطّين، فإن بقي من الخطوط خطّان فهما علامة قضاء الحاجة والنُّجْح، قال: والحازي يمحو وغلامه يقول للتفاؤل: ابنَي عِيان، أسرِعا البيان، قال ابن عبّاس: فإذا محا الحازي الخطوط فبقي منها خطٌّ واحد فهي علامة الخَيبة في قضاء الحاجة، قال: وكانت العرب تُسمّي ذلك الخطَّ الذي يبقَى من خطوط الحازي الأسحم، وكان هذا الخطّ عندهم مشئُومًا)[12].

وذكر أحمد مختار عمر في معجمه: "خطّ (مفرد): ج خُطوط (لغير المصدر): 1-مصدر خطّ/خطّ على/خطّ في؛ علم الخطّ: علم الرمل. 2- كتابة، تصوير اللفظ بحروف هجائه "تفنّن العربُ في أشكال الخطّ العربيّ"؛ بخطّ اليد: بغير آلة كتابة- فكُّ الخطّ: حلُّ رموز الكتابات القديمة، تعلُّم مبادئ القراءة

---

[10] انظر: عفيف البهنسي، المرجع نفسه، (في المدخل، ص: ي-ك). أي أن أبا الأسود الدؤلي أحدث الشكل في الخط الكوفي وذلك سنة 67هـ وتوفي سنة 69هـ وضعه بأمر من زياد في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان. انظر: سهيلة ياسين الجبوري، **الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق**، (بغداد: مطبعة الزهراء، 1381هـ/1962م)، ص56.

[11] انظر: عبد الفتاح عباده، **انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي**، (مصر: هندية، 1915م)، ص27.

[12] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: خطط.

والكتابة؛ فن الخطّ: فنّ تحسين الخطوط وتجويد الكتابة. 3- سطْر "رسم خطًّا مستقيمًا- خطّ خطًّا تحت الكلمة لتأكيدها"[13].

والخط والكتابة والتحرير والرقم والسطر والزبر بمعنى واحد. وقد يطلق الخط على علم الرمل، ويطلق أيضًا في علم الهندسة على ماله طول فقط. والخط العربي هو كتابة الحروف العربية المفردة أو المركبة بقالب الحسن والجمال حسب أصول الفن وقواعده التي وضعها كبار أرباب هذا الفن الجميل. وعلى هذا، فالخط بشكل عام هو ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة فقولنا بالقلم قيد خرج به حركة الأنامل على أوتار آلات اللهو والطرب كالعود وقولنا على قواعد مخصوصة يشمل جميع أنواع الخطوط العربية والأجنبية وما سيخترع فيما بعد[14].

أما في الحديث عن أصل الخط العربي فهناك أراء تقول إن الخط العربي تأثر بالسريانية التي كانت في الشام، وآراء أخرى تذكر أن الخط العربي انتقل من الأنبار والحيرة أي من العراق، وآراء ثالثة تجاهر إن الخط العربي اقتطع من المسند الحميري الذي كان في اليمن. وآراء كذلك تقول إن الخط العربي اشتق من الخط النبطي أي من شمال الحجاز، وآراء أخرى تقدم أن الخط العربي أصله آرامي، وآراء أخرى للمؤرخين العرب القدامى والجدد وللمؤرخين الإفرنج المستشرقين.

يقول الدكتور خليل يحيى نامى: (إن الخط العربي لم يقتطع من السرياني على ما فيه من تشابه). والدكتور جواد علي يقول: (إنه لم تصل إلينا نصوص حيرية من خطوط الحيرة والأنبار حتى نقارن بينها وبين الخط العربي القديم). والدكتور صلاح الدين المنجد يقول: (إن هناك اختلافًا كبيرًا في شكل الحروف وتركيب الكلمة بين الخط العربي والخط المسند الحميري أو فروعه الثمودي والصفوي واللحياني، ويرى أن هناك دراسات رجحت أن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي بل هو آخر شكل من ذلك الخط). والدكتور عبد الرحمن الأنصاري يقول: (يرى بعض المؤرخين أن الخط الذي عرف في الحجاز إنما جاء من الحيرة عن طريق المناذرة). والدكتور أنيس فريحة يقول: (أخذ العرب خطهم عن الأنباط)، والدكتور محمد حمدي البكري يقول: (إنه قد صح لدينا أن العرب قد أخذت خطها من النبط)[15].

ونستنتج من كل هذه الآراء التي وردت: أن هذا اختلاف واضح بين علماء العرب المحدثين – وهم علماء في اللغات السامية والكتابات القديمة وإن كان آخرهم الأستاذ أحمد حسين قد قام ببحوث ميدانية ودراسات علمية أكدت رأيه الذي ذكره، وإلى جانب ذلك فقد خالفوا في الرأي زملاؤهم العلماء العرب القدامى – وما ذلك إلا لأنهم استرشدوا بآراء وبحوث واستنتاجات العلماء المستشرقين الذين يعارضون آراء علماء العرب فيما أوردوه في كتبهم.

---

[13] أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة: عالم الكتب، ج1، ط1، 1429هـ/2008م)، ص663.

[14] انظر: مُحَمَّد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطّاط، المرجع نفسه، ص7-8.

[15] انظر: فوزي سالم عفيفي، المرجع نفسه، ص49.

فالدكتور إبراهيم جمعه يقول: (وما تزال في الكتابة العربية حتى يومنا هذا – في بعض الأقطار وفي كتابة المصاحف بوجه خاص – آثار نبطية لم يستطع أن يتخلص منها الخط العربي على طول الزمان)[16].

فهذا الرأي صحيح؛ لأن القرآن فيه من كل شيء – ففيه لهجة نبطية وكلمات نبطية – وكذلك بالنسبة للهجات المتعددة مثل الفارسية والرومية والهندية والحبشية – ومن أراد المزيد من الإطلاع هذا الموضوع فنحيله إلى كتاب "المتوكلى" للسيوطي. ومثل هذه الكلمات الغير عربية قد استعملها العرب وأصبحت عربية ومن ثمّ أوردها القرآن الذي هو بلسان عربي مبين. فلو كانت غير عربية لما وردت في القرآن لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ... ﴾[17]، وقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[18]، وقوله الذي تقدّست أسماؤه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[19]. وليست مثل هذه الآثار النبطية بدليل على أن الخط العربي أصله نبطي أو حبشي أو فارسي أو غيره، ولكنها دليل على عظمة القرآن الذي ضم كل شيء.

إن أصل الخط العربي هو المسند للأسباب الآتية[20]:

1- أن الخط المسند قريب الشبه من أبيه الفينيقي وغير بعيد الشبه عن أخيه الآرامي.
2- أن النبط خالطوا اليمنيين وجاوروهم في علاقات تجارية ودخلوا تحت حكمهم في بعض العصور مما يقتضي مبادلة الكتابة بين الطرفين – كما كان لليمنيين حضارة تستحق الاقتباس فيبعد مع كل هذا أن يترك النبط خط اليمن بالمرة ويقتصروا عن الأخذ من الآرام وحدهم.
3- أن أحرف (تخذ ضظغ) المسماة بالروادف لا توجد في الفروع الآرامية ولكنها توجد في المسند، فلا بد أن تكون وصلت إلى الخبرة من المسند.
4- تتضافر الروايات على أن الخط جاء إلى الحجاز من اليمن – فمصادرة كل هذه الروايات والذهاب إلى أنه لم يجئ للحجاز إلا من بعض طوائف الآرام دون أهل اليمن – مصادمة للتاريخ وجحود للإجماع ولا يجحد النقل ما لم يدفعه العقل.
5- أن الخط النسخي هو الخط الحيري العادي الذي سمي بعد بناء الكوفة بالخط الكوفي، وعلى ذلك يكون الخط المسند من أصل الخط العربي – والسرياني ليس من حلقات تلك السلسلة.

أما صورة أصل الخط العربي عند علماء العرب، فندون هنا سلسلتها، كما يلي[21]:

---

[16] انظر: المرجع السابق، ص50.

[17] سورة الشورى، الآية: 7.

[18] سورة يوسف، الآية: 2.

[19] سورة الشعراء، الآية: 195.

[20] انظر: فوزي سالم عفيفي، المرجع نفسه، ص62.

[21] انظر: سهيلة ياسين الجبوري، المرجع نفسه، ص14.

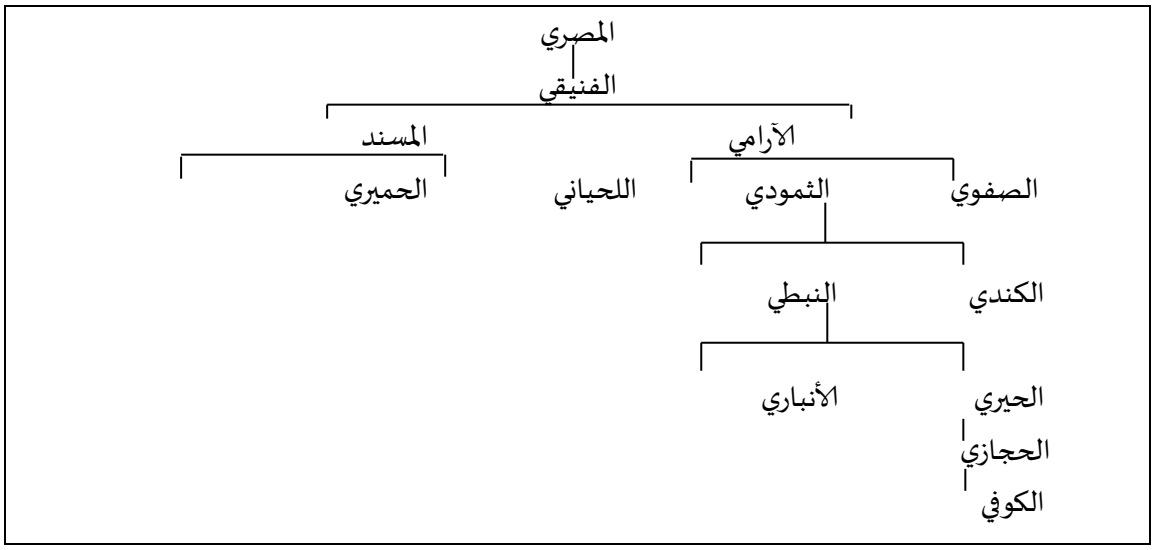

بينما سلسلة الخط العربي على رأي علماء الإفرنج، ندونها كما يلي[22]:

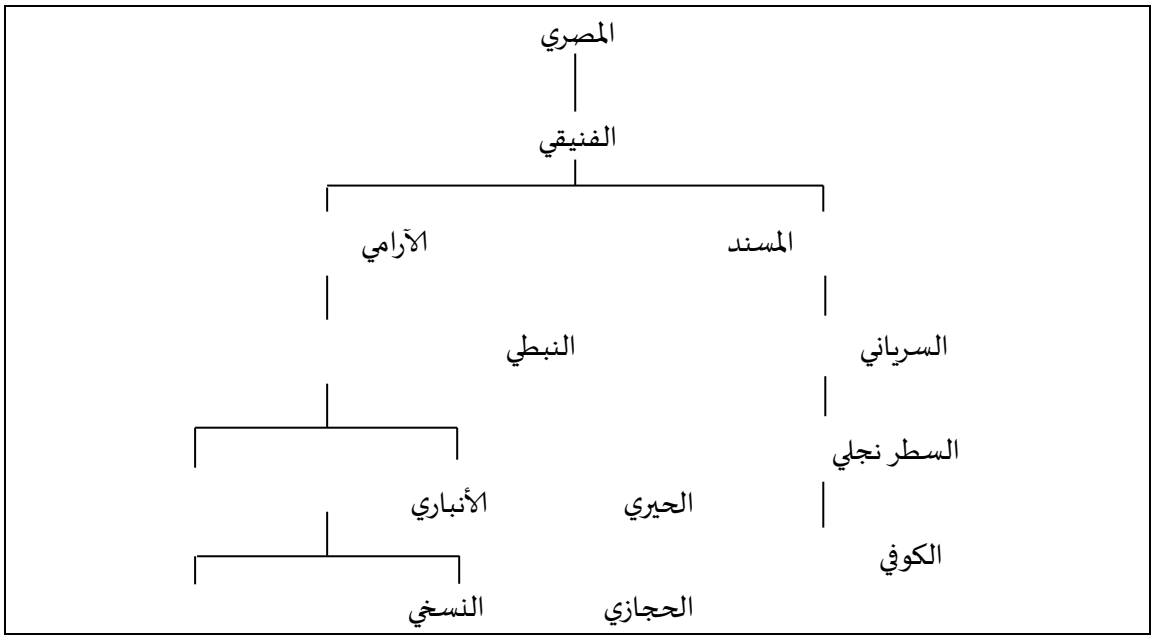

د. الخط العربي وانتشاره في الشرق والغرب

ظهر الإسلام والخط العربي معروف في الحجاز ولكنه لم يكن شائعًا فيه كما تقدم بل كان محصورًا في فئة قليلة من الصحابة وبعض أهل الذمة.

ولما عم الإسلام جزيرة العرب كلها، وذهب بدولتي الفرس والروم في العراق وفارس وسوريا ومصر وإفريقية وغيرها، وانتشرت معه اللغة العربية بين المسلمين وغيرهم من أهل هذه البلدان، وانتشر معها

[22] انظر: سهيلة ياسين الجبوري، المرجع السابق، ص20.

الخط العربي في كل بقعة من هذه البقاع، ثم تجاوزها إلى لغات العالم الإسلامي في بلاد الفرس والترك والهند وغيرهم ممن أصبحوا يكتبون به لغاتهم منذ بضعة عشر قرنًا إلى الآن بفضل انتشار الحضارة الإسلامية وتأثيرها في العالم واتساع نفوذها ورسوخ أصولها في الأصقاع المتنائية.

فالإسلام هو السبب الوحيد في انتشار الخط العربي إن لم نقل هو محييه ورافعه إلى أوج الظهور حتى انتشر هذا الانتشار العظيم بين الأمم الإسلامية وغيرها في آسيا وأفريقيا وأوروبا حتى بلغت حدوده من أقاصي الهند وأرخبيل الملايو (ماليزيا) شرقًا إلى أقصى بلاد المغرب وبحر الأدريتيك غربًا، ومن أعلى تركستان وأواسط روسية أوروبا شمالاً، إلى أداني زنجبار جنوبًا. وقد تخطى الآن خضمات الأقيانوس وبلغ إلى قارة أمريكا وغيرها من جز البحار. فهو يضمّ بين دفتيه أممًا لا تحصى، مختلفة الأجناس والعادات، متعددة اللغات واللهجات، كالعرب والأتراك والفرس والهنود والملايو والافغان والتتر والأكراد والمغول والبربر وأهل السودان والزنبوج والساحليين وغيرهم.

ويظل تحت رايته من 200 مليون إلى 250 مليونًا من الأنفس، ما عدا أكثر من مائة مليون من المسلمين يكتبون به في اللغة العربية نصوص الدين كالقرآن الكريم وغيره مما هو أثر باق لذلك التمدن العظيم.

هـ. أنواع الخطوط العربية

أن مساحة الأمة العربية التي تتحدث وتكتب اللغة العربية – مساحة كبيرة – فضلاً عن أمم أفريقية والخط العربي انقسم إلى ثمانية أقسام: الكوفي والرقعة والديواني وجلى الديواني والنسخ والثلث والتوقيع والفارسي – إلى جانب خط مستحدث هو الخط الحر.

أولاً: الخط الكوفي

وهو الخط المدني أو المكي انتشر في عهد الخلفاء الراشدين، ويقوم هذا الخط المصحّفي على إمالة في الألفات واللامات نحو اليمين قليلاً, وهو خط غير مُنقَّط. ثم ظهر خط المشق في عهد عُمر. وفي هذا الخط صنعة وإبداع وتجويد[23].

وتلا ذلك الخط المحقَّق, وهو كوفي مصحفيّ تكامل فيه التجويد والتنسيق وأصبحت الحروف متشابهة والمدّات متنامية وزُيّن بالتنقيط والتشكيل, وتساوت فيه المسافات بين السطور واستقلّ كل سطر بحروفه.

ثانياً: خط الثلث

[23] انظر: عفيف البهنسي، المرجع نفسه (في المدخل (ف)).

وهو نتيجة لإبداع الخطاطين: المحرّر إسحق بن إبراهيم وقبلة كان ابن مقلة (328هـ/940م) والمهلهل معاصره ثم اليزيدي (ت 922هـ/1016م) وابن سعد (ت 410هـ /1019م) ثم ابن البواب (ت 413هـ/ 1022م). والخط الثلثي هو أصعب الخطوط وأكثر ها جمالاً، ويمتاز بالمرونة ومناتة التركيب وبراعة التأليف وحسن توزيع الحليّات. وهو أصل الخط المنسوب، أي الخط الخاضع لضوابط وقواعد النسبة الفاضلة[24].

ثالثًا: خط الرُّقعة

هو كتابة سهلة قاعدية مسارها السطر لا ينزل عنه إلا حروف (ج ح خ ع غ م) وجميع حروفه مطموسة عدا الفاء واالقاف الوُسطى، ولقد وضع قواعد هذا الخط ممتاز بك في عهد السلطان عبد المجيد (1280هـ/1863م)[25].

رابعًا: خط النسخ

وأول من وضع قواعده ابن مُقلة (328هـ/940م) وأخذه عن الخط الجليل والطومار، وهو أسهل من الثلث. ولقد ازدهر هذا الخط في عصر الأتابكة عام 545هـ/1150م. وكان الخط المعتمد في كتابة المصاحف، بعد أن توقف الخط الكوفي. وبمقاربة هذا الخط بالثلث يبدو لنا أن مساحة حروفه تساوي ثلث مساحة خط الثلث[26].

خامسًا: خط التعليق (الفارسيّ)

استخلصه حسن الفارسي في القرن الرابع الهجري من أقلام النسخ والرقاع والثلث، ثم أصبح له أشكال وأنواع، ولقد كُتبت به اللغات الفارسية والهندية والتركية إضافة إلى العربية، ولكن كتابة نسبة في الدّقة والغلظة. وبصورة عامة فإن هذا لا يُشكّل ولا يُجمّل. ويمتاز بدقة بعض الحروف في بدايتها أو نهايتها، ويميل هذا الخط إلى اليمين. ولقد طوّره مير علي التبريزي ت 919هـ/ 1513م، ويسمى نستعلق (نسخ تعليق)[27].

سادسًا: خط الديواني

وهو الخط السلطانيّ، وضع قواعده إبراهيم منيف (ت 860هـ/1455م) وكان حصرًا على ديوان السلطان ثم انتشر وتنوّع. وهو يُكتب على السطر كالرقعيّ بشكل مائل، وفي بعض الخطوط دورات في

[24] انظر: المرجع السابق (في المدخل (ص)).

[25] انظر: المرجع السابق.

[26] انظر: المرجع السابق، (في المدخل (ق)).

[27] انظر: عفيف البهنسي، المرجع نفسه، (في المدخل (ق)).

الحروف واتصال. وكثيرًا ما تحتضن الحروف الممدّدة كلمات بعدها. ويُقسم إلى قسمين: الخط الجليّ الديواني ظهر أولاً في عهد السلطان مصطفى وكان حطّاطًا وكان وزيره شهلاً باشا، أي مُبدع هذا الخط، ثم قام الخطّاط راقم (ت 1241هـ/1825م) فجمّله وحسّنه, والخط السنبليّ وهو مأخوذ عن الديوانيّ ابتكره عارف حكمت عام 1914م في استنبول[28].

سابعًا: خط الإجازة والتوقيع

وضع أساسه يوسف الشجري في عهد المأمون وأطلق عليه الخط الرياسيّ إذ أصبح لتحرير الرسائل السلطانية, وهو خط مشترَك بين الثلث والنسخ. ولقد أجاده وطوّره في فارس الخطاط الرسّام مير عليّ سلطان (ت 919هـ/1608م)[29].

ثامنًا: خط الطومار

ذهب مؤرّخو الخط العربي أن قلم الطومار هو القلم المستعمل في ديوان الإنشاء لدى الخلفاء، ومختصره قلم الثلث وخفيف الثلث والرقاع والمحقق. وأضاف بعضهم أن المقصود بالطومار (الكامل من قطع الورق وهي طبقة الكاغد) فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة فيه وأنه قلم جليل[30].

تاسعًا: خط التاج

ظهرت هذه الحروف في عهد فؤاد الأول ملك مصر 1349هـ/1930م، وهي شكل يشبه لام ألف مقلوبة تُوضع فوق رأس الحروف لتمييزها، كما يتم في الأحرف اللاتينية عند جعل الحرف الأول كبيرًا، والخط الذي زُيّن بهذه الحروف هو الخط النسخيّ[31].

عاشرًا: خط الطُغراء

استعمل السلاطين العثمانيون الختم على شكل الطُغراء، عند توقيع البراءات المنشورات، وكان السلطان المملوكي الناصر حسن منذ عام 752هـ/1351م قد استعمل الطغراء. وهذا الخط تزاوج بين خطي الديواني والإجازة. وآخر من جود في تكوين الطغراء هو مصطفى راقم وإسماعيل حقيّ[32].

و. الخاتمة

---

[28] انظر: المرجع السابق.

[29] انظر: المرجع نفسه.

[30] انظر: إبراهيم ضمرة، **الخط العربي: جذوره وتطوره**، (الأردن: مكتبة المنار، 1984م)، ص110.

[31] انظر: عفيف البهنسي، (في مدخل: ر).

[32] انظر: المرجع السابق.

إن الخط العربي كفنّ من الفنون له أصول وجذور وأصالة عريقة وتاريخ طويل – كما أن له نماذج في غاية الجمال ولوحات تشد الانتباه لما فيها من روعة ودقة وتناسق – ويكفي أن كانت الحروف العربية تحلي بها المنتجات الأجنبية فيما سبق من أيام – كما وأن اللوحات الخطية الجميلة تعبر عما فيها من جمال وتحتوي على ما تسمو به الروح من آيات قرآنية أو أحاديث شريفة أو حكم غالية – والخط له أنواع نمت ورعرعت وازدهرت وللموجودين أخبار وآراء – وعلى الخطاطين أن يقوموا بدراسة هذا التاريخ – حتى تتشبع مادتهم بما تسمو به النفوس ويزيد فخرهم بتاريخ حروفهم العربية وتاريخ تجويدها ويفاخروا بلوحاتهم وما وصل إليه خطهم من تجويد.

والخط العربي كعلم من العلوم له مجال في الدراسة الاجتماعية والنفسية للخطوط والتزوير والخبرة الخطية. إنه قد بلغ الذروة بشمول الإسلام وفضيلته الكبرى في جمال التعبير والكتابة.

وصفوة القول، يستطيع الباحث أن يستخلص أن الخط هو تاريخ وعلم وفنّ ودراسة – وهي هواية وتدريب – وهو علم للخبرة الخطية والدراسات النفسية – وهو مجال لدراسة صناعات متعددة الجوانب حوله – وعلى ذلك فالخط والكتابة الخطية مجال حي وحيوي كبير يحتاج إلى الإطلاع والدراسة والثقافة والتعلم والتلمذة الفنية.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم والحديث النبوي.

إبراهيم ضمرة. الخط العربي: جذوره وتطوره. الأردن: مكتبة المنار، 1984م.

ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار الفكر العربي. د.ت.

أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. ج1. القاهرة: عالم الكتب. 1429هـ/2008م.

حسين نصارة. نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي. القاهرة: د. ن، 1966م.

سهيلة ياسين الجبوري. الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق. بغداد: مطبعة الزهراء. 1381هـ/1962م.

صالح بن إبراهيم الحسن. الكتابة العربين: من النقوش إلى الكتاب المخطوط. الرياض: دار الفيصل الثقافية. 1424هـ/2003م.

صلاح الدين. الكتاب العربي المخطوط. القاهرة: د. ن، 1960م.

عبادة عبد الفتاح. انتشار الخط العربي. ط2. القاهرة: مكتبة الكلية الأزهرية.

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تعليق: محمد أحمد جاوى المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجّاوي. بيروت: منشورات المكتبة العصرية. الجزء الأول. 1986م.

عبد الفتاح عباده. انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي. مصر: هندية. 1915م.
عفيف البهنسي. معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين. بيروت: مكتبة لبنان، 1995م.
فوزي سالم عفيفي. نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية. الكويت: الناشر وكالة المطبوعات، 1980م.
محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطّاط. تاريخ الخط العربي وآدابه. ط1. جدّه: المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكين، 1358هـ/ 1939م.